

مؤتمر مئة عام على اتفاقية سايكس بيكو هل من خريطة جديدة للمنطقة؟

2016)، وإبداء تعاطف الشعب التركي مع الموصل وحلب وحركوك، وقد تقدمت القوات التركية داخل الحدود السورية وأصبحت مسيطرة على أكثر من ألفي كلم². لقد سمحت تركيا بدخول المقاتلين الإسلاميين إلى سوريا لدعم المعارضة ضد النظام الاستبدادي القائم، لكنها من جهة أخرى أدخلت قواتها تحت حجة مواجهة القوى الإرهابية في سوريا بما فيها القوى الكردية (لقد اعتمدت استراتيجية Destabilisation pour stabiliser السوري وهي نفس الاستراتيجية التي اتبعها النظام السوري خلال الحروب اللبنانية المركبة. إن الاقتصاد التركي الذي يحتاج إلى كمية كبيرة من البترول (تستورد بما لا يقل عن 7 مليار دولار سنوياً)، تحاول تركيا أن تستغل انهيار الدولة السورية وضعف الدولة العراقية لإحياء مطالبها التاريخية بتوسيع حدودها الجنوبية نحو خط يمتد من حلب إلى الموصل، وبذلك تؤمن لها حاجاتها النفطية وتبرز نفسها حامية للوجود السني المهدد من القوى الشيعية المدعومة من إيران، وبخاصة حماية الأقليات التركمانية الموجودة في المنطقة. لقد صرح أردوغان قائلاً إن البعض «خلق الأعداء حينها عن حماية الميثاق المللي. ولكن الآخرين أرادوا بهذه الحدود أن يحبسونا في هذا المفهوم. لذلك نحن اليوم نرفض هذا المفهوم وهم أرادوا أمس، ويريدون اليوم، أن يجعلونا ننسى ماضيها السلجوقي والعثماني. ونحن لا يمكن في عام 2016، أن نتحرك بنفسية 1923». وأضاف: «هناك اليوم تهديدات جمة علينا في سوريا وفي العراق. ولن ننتظر لتدخل حدودنا بل سنذهب إليها. وبدلاً من الانشغال بالذباب سنحذف المستنقع. وسنلاحق الإرهاب حيث هو من تلة إلى تلة».

واضح جداً من خلال هذا النص عزم تركيا على احتلال شمال سوريا وشمال العراق، مع العلم أن ذلك سيؤدي إلى تفاعلات بنيوية داخل الدولة التركية حيث يشكل العلويون ثلث السكان بينما عدد الأكراد لا يقل عن 17 مليون نسمة.

3- إن قيام «تنظيم الدولة الإسلامية» وإعلان الخلافة من قبل البغدادي وتهجير مسيحي العراق والأيزيديين واضطهاد من يسمونهم «الرافضة» والممارسات التي تعود إلى القرون الوسطى، ساعدت مع عوامل داخلية وخارجية مختلفة إلى تحلل كيانات الدول في المشرق وتفككها إلى وحدات طائفية وقبلية ومذهبية، وانهيار مفهوم الحدود وسيادة الدول على أقاليمها الجغرافية، هذا الوضع يصب في مصلحة المشروع الصهيوني الذي يقضم أرض فلسطين من خلال الاستيطان ورفض تطبيق القرارات والاتفاقيات الدولية. وعلى كل حال فإن تفكك المنطقة كان ولا يزال هدفاً أولياً للاستراتيجية الصهيونية، وثمة كتابات كثيرة حوله أبرزها تلك التي وضعها المنظر الصهيوني الأكبر برنارد لويس.

4- إن تأثير الموقف الصهيوني على السياسات الدولية (وبخاصة أميركا وروسيا وأوروبا) يبدو واضحاً. وإن استمرار المسألة السورية بمشاركة روسية فعالة، وعدم تدخل حاسم من قبل أميركا وأوروبا، لإيقاف المسألة، يشارك في تزايد المشاعر الطائفية وتوترها، وإذا أسفرت عملية تحرير الموصل والرقعة عن تجاوزات طائفية ضد المدنيين، لا سمح الله، فإن الموقف الانقسامى سيزداد رسوخاً وستتفاقم عملية انهيار الحدود وسلطة القانون في المنطقة.

5- لقد أكد قادة الأكراد على حقهم في قيام كيان مستقل، على الأقل في العراق، حيث صرح البرزاني أن حدود كردستان نكتبها بالدم. ويبدو أن تحرك الأكراد في تركيا وسوريا وإيران، إضافة إلى العراق، تحمل إرادة عميقة بإعادة النظر بالحدود من أجل إيجاد دولة جديدة في المنطقة (دولة كردستان). وهذا الأمر يساعد في آلية إعادة النظر بخريطة المنطقة.

إن حدود الخرائط الجديدة في مشرقنا العربي كتبت بالدم. وبدل أن يكون ترسيم الحدود وسيلة من وسائل معالجة المسائل، كما يقول Michel Foucher، يبدو أن إلغاء الحدود هو المشكلة لأن المطروح إعادة تشكل دول المنطقة.

إن ما يجري في مشرقنا العربي، وقلبه سوريا، هو مزيد من الاتجاه نحو التفكك المرتكز على غلبان في المشاعر الطائفية والاثنية المتنامية. وهذا الوضع يدخل المنطقة في فوضى مفتوحة قد تهدد السلم العالمي برمتة.

فهل نستطيع أن نحمي دولتنا اللبنانية ومجتمعنا واقتصادنا من لهيب النار المشتعلة في الجوار؟ وهل نستطيع أن نتحمل كارثة المهجرين وما ينجم عنها من تفاعلات اقتصادية وأمنية؟

حذا لو يستشعر أهل السياسة بالأخطار الكبرى المحدقة فيتخلون عن مطامعهم ومصالحهم الضيقة ويضعون مصالح الوطن فوق كل اعتبار!

* أستاذ جامعي

عصام خليفة*

في مؤتمر نظمته جامعة جورج واشنطن، في العاصمة الأميركية، قال مدير المخابرات الفرنسية برنار باجوله: «إن الشرق الأوسط الذي نعرفه انتهى إلى غير رجعة... وأشك أن يعود مجدداً» ولاحظ واقع تقسيم سوريا والعراق وأضاف «لا أعتقد أن هناك إمكانية للعودة إلى الوضع السابق». وحول احتمالات المستقبل أجاب بأنه لا يعلم، ولكن ما يستطيع تأكيده أن خريطة المنطقة «ستكون مختلفة عن تلك التي رسمت بعد الحرب العالمية الثانية»، وأن الشرق الأوسط المقبل سيكون حتماً مختلفاً عن الشرق الأوسط ما بعد الحرب العالمية الثانية». وأدى مدير الـ C.I.A جون برينان في نفس المؤتمر وجهة نظر قريبة من وجهة نظر نظيره الفرنسي (صحف بيروت 29 ت 2015). والمسؤول السابق للمخابرات الألمانية أوغست هانينغ يعتقد «أنه يجب علينا التفكير في رسم حدود جديدة للشرق الأوسط». وأن اللاجئين الذين أتوا إلى لبنان، في أكثريتهم «سيبقون فيه» (السفير 7 تموز 2015). بموازاة تأكيدات هذه المرجعيات المطلعة جداً على مسار لعبة الأمم في المنطقة، ماذا يمكننا أن نلاحظ على أرض الواقع؟

1- الجمهورية الإسلامية الإيرانية تسعى لهندسة منظومة إقليمية تخدم مصالحها وفقاً لحساباتها الخاصة. وانطلاقاً من الدستور الإيراني الحالي نلاحظ «أن المسلمين (يشكلون) جميعاً أمة واحدة، وعلى عاتق حكومة إيران الإسلامية واجب صوغ سياساتها وخططها العامة من منطلق رعاية الصداقة والوحدة بين جميع الشعوب الإسلامية، كما يتعين عليها أن تسعى بداب ومثابرة من أجل

ما يجري في مشرقنا العربي هو مزيد من الاتجاه نحو التفكك

تحقيق الوحدة السياسية والاقتصادية والثقافية للعالم الإسلامي». وتعتبر إيران الخميني أن الحدود بين دول المنطقة هي حدود مصطنعة فبركها الإمبرياليون وأن المؤسسات السياسية الموجودة في الشرق الأوسط وخارجها هي غير شرعية لأنها ليست مستندة إلى قانون إلهي. وبالتالي يجب الإجهاز عليها.

في هذا السياق يمكن أن نفسر: سيطرة إيران على قرار المؤسسات الحكومية العراقية إجمالاً، ومشاركة قادة الحرس الثوري الإيراني في صياغة خطط تحرك الجيش العراقي، لا بل نلاحظ عبر الصحف قيادة عسكريين إيرانيين كبار (كقاسم سلیماني) لمنظمات عسكرية عراقية (كالحشد الشعبي على سبيل المثال لا الحصر).

تمويل وتسليح إيران لحزب الله في لبنان وانعكاس ذلك على تحرك الحزب داخل لبنان ودوره في الصراع الدموي الخطير داخل سوريا. وهذا الأمر يناقض مرتكزات الميثاق الوطني اللبناني الذي قامت عليه الدولة اللبنانية (لا شرق ولا غرب). تدخل إيراني مباشر في الصراع الدموي الكبير الدائر على الأرض السورية بالمال والسلاح والمقاتلين. وقد نقل عن محمد علي شهيدى محلاتي رئيس «مؤسسة الشهيد» الإيرانية والتي تقدم دعماً مالياً لأقارب من يلقون حتفهم خلال القتال لمصلحة إيران في المنطقة، قوله أن عدد قتلى إيران في سورية «بلغ ألفاً بعدما كان 400 سابقاً» (الحياة 23 ت 2016).

وهناك كلام عن حركات تشجيع لمجموعات، وشراء عقارات في المدن السورية المختلفة. تدخل إيراني في البحرين وفي اليمن وفي غيرهما من الدول حيث يوجد أقليات شيعية.

2- في مواجهة السياسات الإيرانية يبرز دور الكتلة السنية بزعامة السعودية وتركيا. فالدولة الوهابية كانت تفترض أنها قادرة على دعم وتوظيف الحركات الإسلامية الراديكالية في الخارج دون تعريض وضعها الخاص للخطر. وهكذا فقد مؤلت مجموعة من المدارس الدينية المبشرة بالاتجاه السلفي في طول العالم وعرضه. ولكن مع بروز القاعدة، ولأحقاً داعش والنصرة وأخواتها، بعد زلزال العراق والزلزال السوري، دخل المستطيل الجغرافي من طوروس إلى المحيط الهندي مرحلة المجابهة الدموية بين الطرفين السني والشيعي. وهكذا دخلت السعودية في حرب اليمن، وأرسلت قواتها إلى البحرين، ودعمت المعارضة السورية بالمال والسلاح. بالنسبة إلى تركيا فإن سياسة أردوغان واضحة في طموحاتها التوسعية. لقد أعلن صراحة أن اتفاقية لوزان قد سقطت من خلال مطالبته بالجزر اليونانية الـ 12 (صحف 29 أيلول

بالعملة السورية إلى مزيد من الانتكاس... وليصبح سيناريو التعميم اللبناني والعراقي شبه حتمي.

إن تشظي البلاد وتوقف معظم حركة الإنتاج بسبب التدمير الواسع للمدن الصناعية في حلب وريف دمشق وحرقت المحاصيل الزراعية وانخفاض إنتاج النفط من نصف مليون برميل يومياً إلى 17 ألف برميل، والكهرباء التي كانت تصدر إلى لبنان واليوم تعاني من العوز الشديد... كل ذلك يشير إلى حركة تقلص الصادرات الوطنية بشكل كبير سيؤثر على مدى عقد أو أكثر (بافتراض حل سريع للأزمة في البلاد) على حجم الإيرادات من القطع الأجنبي وقيمة الليرة السورية التي تعاني من ضربة عميقة الأثر ستستمر حتماً لأجيال.

* كاتب سوري



لرفع بعض «الغبين» اللاحق بالعرب سواءً من ناحية المساحات أو نوعية الأراضي لكل طرف. لكن أمام الضغط الصهيوني الذي قال عنه ترومان إنه لم يشهد ضغطاً على البيت الأبيض أشد منه، ولضيق الوقت وانشغاله بالحملة الانتخابية أعطى الرئيس تعليماته للموافقة على مشروع التقسيم كما هو في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني. حصل ما كان متوقعاً. اشتدت حدة الصراع في فلسطين وبدات العصابات الصهيونية بتنفيذ سياسة التطهير العرقي. مع تدهور الأوضاع في فلسطين ازدادت قناعة قسم الخارجية في البيت الأبيض بعدم صلاحية قرار التقسيم وطالب البعض بأن على الولايات المتحدة «أن لا تأخذ لاحقاً أي مبادرات بخصوص تنفيذ التقسيم أو داعمه له»، لاقى هذا الموقف دعماً في قسمي الخارجية والدفاع.

كان الخيار الثاني محبباً لدى وزير الخارجية مارشال وطاقمه، ولاقى استحساناً لدى ترومان. ما إن علم الصهيونيون بذلك حتى ثارت ثائرتهم وشنوا حملة ضغط غير مسبوق لدرجة أنهم هددوا بأن اليهود في فلسطين سيطلقون الرصاص على الجنود الأميركيين إن حاولوا فرض انتداب جديد على فلسطين.

كما في السابق، وجد ترومان نفسه مضطراً لوضع قناعاته الشخصية جانباً مفضلاً الرضوخ للابتزاز الصهيوني. ترك الأمور تجري على عواهنها وكان السبّاق في الاعتراف بإسرائيل لحظة إعلانها.

هكذا يحكم الرئيس في الولايات المتحدة. قراراته تعكس معادلة مراكز القوى الأميركية وليس القناعات الشخصية التي تبقى هامشية بالنسبة إلى القضايا الكبرى. ترومان لم يكن استثناءً وترامب لن يكون.

* كاتب وباحث فلسطيني

لا زالت قائمة. السياسات المالية وظروف الحرب وتجار الأزمات، كل ذلك يساهم بشكل يومي في تغذية الانهيار الداخلي للاقتصاد السوري عموماً وانهيار العملة المحلية خصوصاً التي فقدت حتى الآن ما يقارب 90% من قيمتها. لكن الأسوأ لم يأت بعد، إذ من المتوقع أن الليرة السورية ستواجه أيضاً انهياراً حاداً بمجرد أن يلوح أي حل للأزمة السورية. فعودة المهجرين إلى مناطقهم التي تركوها سيسبب ازدياداً استثنائياً على طلب الحاجيات الأساسية، بما فيها الاحتياجات المتعلقة بالطعام والشراب التي لا تنتج محلياً اليوم ولا بأي شكل من الأشكال بفعل البنية التحتية المدمرة بشكل شبه كامل، فإن ذلك سيؤدي إلى ضرورة استيرادها بالدولار في ظل خزان الدولة الشبه فارغة، وهو ما سيدفع